قادة الفتح الإسلامي لِمِصْرَ

١ـ عمرو بن العاص السهمي(١)

٢ـ الزبير بن العوام الأسدي(٢)

٣ـ عبدالله بن حذافة السهمي

٤ـ خارجة بن حذافة العدوي

٥ـ عمير بن وهب الجمحي

٦ـ عقبة بن عامر الجهني

٧ـ عبادة بن الصامت الخزرجي

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته.

(٤٣١) عبدالله بن حُذَافة القرشي السهمي رضي الله عنه فاتح عين شمس[١]

هو الصحابي عبدالله بن حُذافة بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم بن عمرو ابن هُصَيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، أبو حذافة القرشي السهمي صحب رسول الله ﷺ، أحد السابقين، أسلم قديمًا وهاجر إلى الحبشة.

وأمه تميمة بنت حُرْثان، من بني الحارث بن عبد مناة، وأخوه خُنيس بن حذافة، زوج حفصة بنت عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قَبْل النبي ﷺ.

قال أبو سعيد بن يونس، وابن مندة: شهد بدرًا[٢]، ولم يصحّ، ولم يذكره موسى بن عقبة، ولا عروة، ولا ابن شهاب، ولا ابن إسحاق في البدريين[٣].

وفي صحيح البخاري، عن ابن عباس، قال: نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] في عبدالله بن حُذافة؛ بعثه النبي ﷺ في سَريّة[٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ سَرِيّة، عليهم علقمة بن مُجَزِّز، وأنا فيهم فخرجنا، حتى إذا كُنَّا ببعض الطريق، استأذنه طائفة. فأذِن لهم وأمّر عليهم عبدالله بن حذافة، وكان من أهل بدر، وكانت فيه دعابة. فبينا نحن في الطريق، فأوقد القوم نارًا يصطلون بها، ويصنعون عليها صنيعًا لهم، إذْ قال: أليس لي عَليكم السمع والطاعة؟

(١) عين شمس: اسم حي كبير من أحياء القاهرة، كانت مدينة بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ.
(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/٢).
(٣) أسد الغابة (٢١٣/٣).
(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٩١/٨) في التفسير، ومسلم (١٨٣٤) في الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وأحمد (٣١٢٤).

قالوا: بلى. قال: فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلّا ثواثبتم في هذه النار، فقام ناس فتحجزوا حتى إذا ظن أنهم واقعون فيها قال: أمسكوا، إنما كنتُ أضحك معكم.

فلما قدموا على رسول اللَّه ﷺ، ذكروا ذلك له. فقال: «مَن أمركم بمعصية فلا تُطيعوه»(١).

وبعثه رسول اللَّه ﷺ إلى كسرى ملك فارس بكتاب يدعوه إلى الإسلام، فمزّق كسرى الكتاب، فقال رسول اللَّه ﷺ: «اللهم مزّق ملكه»(٢) وكان نص كتاب الرسول ﷺ إلى كسرى: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم. من محمد رسول اللَّه إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن باللَّه ورسوله وشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا عبده ورسوله، وأني أدعوك إليّ بدعاء الله، وإني رسول اللَّه إلى الناس كافة لأنذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن توليت فإن إثم المجوس عليك»(٣).

وشهد عبداللَّه كافة غزوات النبي ﷺ بعد «خيبر» وكان معه في الحج، فأمره أن ينادي في أهل «منى»: «ألا لا يصوم هذه الأيام أحد»(٤).

❑ الفاتح:

خرج إلى الشام مجاهدًا، فأُسِرَ على قَيسارية، وحملوه إلى طاغيتهم، فراوده عن دينه، فلم يُفتَتَن. وسنذكر ذلك بعد قليل.

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه أبو يعلى في «مسنده» وأحمد في مسنده (٣/٦٧)، وابن ماجه (٢٨٦٣) في الجهاد: باب لا طاعة في معصية الله، وابن خزيمة، وصححه ابن حبان (١٥٥٢) والحاكم (٣/٦٣٠، ٦٣١)، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح، وأشار إليه البخاري في «صحيحه» (٨/٤٦) في المغازي في الترجمة، فقال: باب سرية عبدالله بن حذافة السهمي، وعلقمة بن مجزر المدلجي.

(٢) طبقات ابن سعد (٤/٨٨٩).

(٣) الطبري (٢/٢٩٦).

(٤) الإصابة (٤/٥١) ت (٤٦٤١)، وأُسْد الغابة ت (٢٨٩١).

وشهد مع عمرو بن العاص فتح مصر، و«لما فتح عمرو الفسطاط وجّه عبدالله ابن حذافة السهمي إلى عين شمس فغلب على أرضها، وصالح أهل قراها على مثل حكم الفسطاط»[(١)].

وبعد فتح مدينة الإسكندرية استخلف عمرو بن العاص عليها عبدالله في رابطة من المسلمين، وانصرف عمرو إلى الفسطاط، فكتب الروم إلى قسطنطين بن هرقل الذي كان ملك الروم حينذاك يخبرونه بقلة عدد المسلمين في الإسكندرية، فبعث ملك الروم أحد قادته على رأس قوة مشحونة في ثلاث مئة مركب فدخل الإسكندرية، ولكن المسلمين أعادوا فتح الإسكندرية مرة ثانية»[(٢)].

❑ قصة عبدالله بن حذافة السهمي في أسر الروم[(٣)]:

هذه القصة مشهورة جدًّا ـ كما سيأتي ـ، وتختلف المصادر والمراجع في حيثياتها وتفصيلاتها، ولذا نرجئ ذكرها ـ التفصيلي ـ إلى الكلام على (تخريجها وطرقها)، ولكن مفاد ما فيها:

أنّ ملك الروم قال لعبدالله بن حذافة ـ وهو أحد الصحابة ـ لما أسر: تنصَّر! وهدَّده بالقتل بإلقائه في بقرة (إناء كبير مصنوع من نحاس)؛ فأبى الصحابي الجليل، فأراد ملك الروم أن يعطي ابن حذافة درسًا عمليًّا على عقاب الممتنع، فدعا بالبقرة، فملئت زيتًا وأغليت، ودعا برجلٍ من أسرى المسلمين، فعرض عليه النصرانية، فأبى، فألقاه في البقرة؛ فإذا عظامه تلوح.

والتفت ملك الروم لعبدالله بن حذافة، وقال له: تنصَّر وإلا ألقيتُك. فأبى الصحابي الجليل؛ فأمر به أن يلقى، فبكى عبدالله؛ فقيل له: قد جزع، قد بكى.

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص (٢١٨).

(٢) البلاذري ص (٢٢٢ ـ ٢٢٣).

(٣) هذا النقل كاملًا من كتاب «قصص لا تثبت» لمشهور بن حسن آل سلمان ـ الجزء الثالث ص (٧٣ ـ ٩٢).

قال ملك الروم: ردوه. فلما ردوه، قال الصحابي الجليل: لا ترى أني بكيتُ جزعًا مما تريد أن تصنع بي، ولكني بكيتُ حيث ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله، كنتُ أحبّ أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة فيّ، ثم تسلط عليَّ فتفعل بي هذا.

فأعجب ملك الروم بهذه النفس الأبيّة، وأحبّ أن يطلقه؛ فقال: قبّل رأسي وأطلقك. فأبى عبدالله بن حذافة، فقال ملك الروم: قبل رأسي وأطلق معك ثمانين من المسلمين. قال عبدالله: أما هذه؛ فنعم. فقبّل رأسه، وأطلقه وأطلق معه ثمانين من المسلمين.

فلما قدموا على عمر بن الخطاب ـ وكان خليفة للمسلمين ـ؛ قام فقبَّل رأس عبدالله، وقال: حقٌّ على كل مسلم أن يقبِّل رأس عبدالله بن حذافة، وأنا أبدأ. وكان أصحاب رسول الله ﷺ يمازحون عبدالله؛ فيقولون: قبَّلت رأس علج. فيقول لهم: أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من المسلمين.

هكذا يردد بعض الخطباء والوعاظ هذه القصّة، وقد أطلتُ النفس في تتبعها من مصادرها، فلم أظفر بما يورده بعضهم في هذه القصة من تفصيلات[1]؛ وقمتُ بدراسة أسانيدها؛ فلم أجد شيئًا يفرح به، مع أنّ هذه القصة فيها كثير من المعاني السامية، والصبر على الابتلاء، والتسامي على الأعداء، ولا سيما في هذا الزمان الذي يتهافت فيه كثير من المسلمين ـ اليوم ـ لإرضاء أعداء الله من كل جنس ولون، ويفقدون في سبيل ذلك دينهم أو بعضه، كما يفقدون كذلك كثيرًا من خيرات بلادهم، ويتمنى من يقرأ هذه القصة ـ لما يقارن بين وضع أمة الإسلام في ماضيها وحاضرها ـ أن يكتفي هؤلاء بتقبيل رؤوس أعدائهم حتى ولو لم يكن في تقبيلها أي مصلحة للإسلام والمسلمين، ولكن هذه الأمنية ـ على انحطاطها ـ قد لا

---

(١) كما فعل صاحب «مواقف بطولة من صنع الإسلام» (١٥١) عندما ذكر أن الملك صلب عبدالله بن حذافة، وأمر أحد رماته المهرة فرماه بسهمينْ أحاط برأسه عن يمين وعن شمال.

تتحقق اليوم؛ فهل ننتبه ونعقل؟!

ولكن؛ هذا شيء، والبحث العلمي والحقائق الثابتة بالأدلة الصحيحة شيء آخر.

● شهرة القصة:

هذه القصّة مشهورة جدًّا، يردّدها الوعاظ، ويدوّنها من يكتب عن مآثر الأسلاف، وبطولاتهم، وامتحانهم، وثباتهم، وتعتني بها كتب التاريخ والتراجم؛ فها هو ابن حجر يذكرها في «الإصابة» (٢/٢٩٦- ٢٩٧) - وتكلَّم عليها، كما سيأتي -، و«التهذيب» (١٦٢/٥)، وقبله المزي في «تهذيب الكمال» (٤١٣/١٤)، وذكرها ابن الأثير في «أسد الغابة» (١٤٣/٣)، وابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٢/ ٢٨٤)، والذهبي في «السير» (٢/ ١٤، ١٥)، و«تاريخ الإسلام» (ص ٣٤٣ - عهد الخلفاء الراشدين)، وقبلهم كثير، ويذكرها بعض الفقهاء؛ كابن ضويان في «منار السبيل» (٤١٨/٢) مستدلًّا بها على مشروعية شرب الخمر للمضطر، وأن الأحسن الثبات وعدم ذلك.

وذكرها أيضًا ابن كثير في «تفسيره» (٢/٦٠٩- ٦١٠) عند آية: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقال قبلها: «والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه، ولو أفضى إلى قتله»، ثم ذكرها، وتابعه من اختصره من المعاصرين، مثل: شيخنا محمد نسيب الرفاعي - رحمه اللَّه تَعَالَى - في «تيسير العلي القدير» (٦٠٧/٢)، ومحمد علي الصابوني في «مختصر تفسير ابن كثير» (٢/٣٤٨- ٣٤٩).

أما المعاصرون؛ فلا تقل شهرتها عندهم عمن قبلهم؛ فها هو اللواء الركن محمود شيت خطاب يذكرها في كتابه «قادة فتح الشام ومصر» (٢٣٠- ٢٣١)، ومحمد بن علي الهرفي يذكرها في «خواطر العزّة للإسلام» (٩٥- ٩٦)، ومحمد أبو فارس يذكرها في «الابتلاء والمحن في الدعوات» (٩٠)، وزياد أبو غنيمة في

كتابه «مواقف بطولة من صنع الإسلام»[١] (١٥٠- ١٥٣)، وعبدالرحمن رأفت الباشا رحمه الله - تَعَالَى - في كتابه «صور من حياة الصحابة» (١/ ٥١- ٥٦، ومحمود شاكر الحرستاني في كتابه عن «عبدالله بن حذافة السهمي» الذي أودعه فيما بعد ضمن سلسلة «بناة دولة الإسلام» (الجزء ١١- ٢٠/ ص ١٠١- ١٠٦)، وعنون لها: «استعلاء الإيمان»، وأخونا سليم الهلالي يذكرها في كتابه «الثبات على الإسلام» (١٤٨- ١٥٠)، وفي مقالته: «كرهت أن أُشمِتك في الإسلام» المنشورة في مجلتنا «الأصالة» (العدد الرابع، ص ٢٧)، وغيرهم كثير.

● **تخريجها وطرقها:**

لهذه القصة طرق كثيرة شديدة الضعف، وهذا البيان:

أخرج أبو إسحاق الفزاري في «السير» (رقم ٣٥٤)؛ قال: «عن الأوزاعي قال: أسر عبدالله بن حذافة السهمي بقيسارية، فأراده صاحبهم على الكفر؛ فأتي، فأمر برجل فألقي في البقرة[٢] التي من نحاس ليخوفوه بذلك، فأتي فأمر به، فجعل في بيت فَطيِّن عليه ثلاثًا، فجعل معه لحم خنزير وخمر، ثم فتح عنه فوجدوه لم يذق منه شيئًا، فأُتي؛ فقيل له: إنه لم يذق شيئًا وهو ميت إن تركته. فدعا به فقال: ما منعك أن تأكل؟ قال: ما منعني من ذلك إلا أكون أعلم أن الضرورة إليهما قد حلتهما لي، ولكني[٣] أن أشمتك بالإسلام. قال: نعم، فقبل رأسي، فأتي، قال: فقبل رأسي وأرسل لك ثمانين من أصحابك؟ قال: أما هذه؛ فنعم. فقبل رأسه؛

---

(١) هذا الكتاب فيه غيرة وحمية على مواقف الصحابة والمجاهدين والعلماء ولكنه نسج على منوال كتاب خالد محمد خالد «رجال حول الرسول»؛ إذ أدخل المصنف خياله في صنع أحداث وقول عبارات لم تقع، ولم ترد في أي مصدر من المصادر، وأكبر غلطة فيه ذكره (ص ١٦٢- ١٦٣) اجتماع النووي مع شيخ الإسلام ابن تيمية! وهذا لم يقع البتة، ولا يتصوّر.

(٢) كذا هنا، وفي بعضها: «النُّقرة»، وهما بمعنى، وهو قدر كبير يسخَّن فيه الماء وغيره. انظر: «اللسان» (مادة بقر، نقر)، و«النهاية في غريب الحديث» (١/ ١٠٧ و٤/ ١٨٠).

(٣) كذا في مطبوعه، وسقط منه بعدها: «كرهت».

فأرسل له ثمانين من المسلمين، قال: فكان بعد ذلك يمازح ويقال له: قبلت رأسه، فيقول: نجّى اللّه بها ثمانين من المسلمين».

وهذا منقطع؛ فإن الأوزاعي لم يدرك عبداللّه بن حذافة، ولم يشهد هذه الحادثة، فأرسلها دون إسناد.

وأخرج أبو العرب التميمي في كتاب «المحن» (٣٨٣- ٣٨٤)؛ قال: «حدثني يحيى بن عبدالعزيز عن بقي بن مخلد عن عبيداللّه بن عائشة؛ قال: حدثني عبدالعزيز بن مسلم أن عبداللّه بن محمد من ولد عبداللّه بن حذافة أخبره أن عبداللّه بن حذافة كان بالشام؛ فكتب عمر بن الخطاب إلى معاوية بن أبي سفيان: اغز الروم ووَلِّ عليهم عبداللّه بن حذافة السهمي قال: فخرج عبداللّه بن حذافة على الناس، قال: فقيل له في طريق الروم: إن في ناحية كذا وكذا رجلًا من أصحاب هذا الرجل فيهم، قال: فحملت الروم على طائفة من المسلمين فاقتطعوهم ومنهم عبداللّه بن حذافة السهمي، قال: فلما دخل الروم على هرقل؛ قالوا له: إن هذا الرجل من قريش (يعنون عبداللّه بن حذافة) وهو ابن عم محمد قال فدفعه إلى رجل فقال: أجعْهُ. قال: فأجاعه الرجل، فكان يأتيه في كل يوم بلحم خنزير فيضعه بين يديه، فيعرض عنه عبداللّه بن حذافة، وقال: هذا طعام لا يحل لنا أكله، قال: فدخل الرجل على هرقل فقال له أتيته بلحم خنزير وخمر فأعرض عنه، وقال: هذا طعام لا يحل لنا أكله؛ فإن كان لك في الرجل حاجة فأطعمه. قال: فاذهب فأطعمه شيئًا. قال: فذهب وأتاه بطعام فأكله، قال: فلما أخبر هرقل بذلك، فقال: قد بلوته بالضراء فابتليه بالسراء. فأتاه بالجواري وبألطاف وملاءٍ، قال: فلم يلتفت عبداللّه بن حذافة إلى شيء من ذلك، قال: فأتاه الرجل فأخبره بذلك؛ فقال للجواري: ما كان منه إليكن حركة. فقلن: لا والله، ما التفت إلينا. فأرسل إليه هرقل فأتاه؛ فقال له هرقل: قد بلوتك بالسراء والضراء فصبرت؛ فهل لك أن تُقَبِّل رأسي وتنجو بنفسك. قال: لا. قال: فهل لك أن تقبل رأسي وأدفع لك كل أسير

من المسلمين عندي؟ قال: نعم. فقبل رأسه عبدالله بن حذافة فدفع إليه كل أسير عنده من المسلمين، قال: فقدم على عمر؛ فسعى به ساعٍ إلى عمر وقال: إن هرقل قد بعث إليك معه مالًا فخزنه عنك. فدعاه عمر؛ فقال: أين المال الذي بعث معك إلينا؟ قال: يا أمير المؤمنين! ما بعث إليك هرقل شيئًا. قال: فكتب عمر إلى معاوية أن استخرج لي خبره وافحص عن أمره.

قال: فاستخرج معاوية خبر عبدالله بن حذافة، قال: فكتب به إلى عمر، قال: فلما قرأ عمر كتاب معاوية؛ قام إلى عبدالله بن حذافة فقبل رأسه، ثم قال له عمر: يرحمك الله، ما منعك إذ بلغ بك الجهد ما بلغ أن تأكل لحم الخنزير؟ فقال له عبدالله بن حذافة: والله يا أمير المؤمنين؛ لقد علمت أن ذلك موسوعًا لي، ولكنني كرهت أن يُشْمَت بالإسلام وأهله».

وهذا إسناد ضعيفٌ جدًّا، عبدالله بن محمد مجهول، وعبيدالله بن عائشة مثله، وهما غير معروفين بالرواية، وللأَخير ذكر في ترجمة عمه (عبيدالله بن عمر بن موسى) في «الجرح والتعديل» (٥/٣٢٧)؛ إذ فيه أن هذا (عم عبيدالله بن عائشة)، وكذا في «التاريخ الكبير» (٥/٣٩٥) مع سقط وقع فيه، نبه عليه العلامة المعلِّمي اليماني رحمه الله ـ تَعَالَى ـ.

وعبدالعزيز بن مسلم شيخ فيه جهالة، وقوّاه بعضهم كذا في «الميزان» (٢/ ٦٣٥).

وأخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص ١٣٣ـ ١٣٤، ترجمة عبدالله بن حذافة، القسيم المطبوع)، ومن طريقه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/١٤٣)؛ قال: «أنبأنا أبو سعد المطرز وأبو علي الحداد؛ قالا: أنا أبو نُعيم أنا ثابت بن بُندار بن أسدنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الاستراباذي نا عبد الملك ابن محمد بن نعيم نا صالح بن علي النوفلي نا عبدالله بن محمد بن ربيعة القُدامي نا عمر بن المغيرة عن عطاء بن عجلان عن عكرمة عن ابن عباس؛ قال: أسرت الروم عبدالله بن حذافة

السهمي صاحب النبي ﷺ؛ فقال له الطاغية: تنصَّر، وإلا ألقيتك في النُّقرة من نحاس. قال: ما أفعل. فدعا بالبقْرة النُّحاس فملئت زيتًا وغُلِي!، ودعا برجل من أسارى المسلمين فعرض عليه النصرانية فأبى؛ فألقاه في النقرة فإذا عظامه تلوح، وقال لعبدالله: تنصر، وإلا ألقيتك. قال: ما أفعل. فأمر به أن يلقى في النُّقرة؛ فكتفوه فبكى. فقالوا: قد جزع، قد بكى. قال: ردوه. قال له: لا ترى أني بكيت جزعًا مما تريد أن تصنع بي، ولكني بكيت حين لي[1] إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله، كنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة فيَّ، ثم تسلَّط عليَّ فتفعل بي هذا. قال: فأعجب منه وأحب أن يطلقه؛ فقال: قبِّل رأسي وأطلقك. قال: ما أفعل. قال: تنصَّرْ وأزَوِّجك ابنتي وأقاسمك ملكي. قال: ما أفعل. قال: قبل رأسي وأطلقك وأطلق معك ثمانين من المسلمين. قال: أما هذه؛ فنعم. قال: فقبَّل رأسه وأطلق معه ثمانين من المسلمين، فلما قدموا على عمر بن الخطاب؛ قام إليه عمر فقبّل رأسه، قال: فكان أصحاب رسول اللَّه ﷺ يمازحون عبدالله؛ فيقولون: قبلتَ رأس عِلْجٍ. فيقول لهم: أطلق اللَّه بتلك القبلة ثمانين من المسلمين».

وأخرجه ابن الجوزي في «الثبات عند الممات» (ص ٥٣) من طريق زاهر بن طاهر: ثنا أبو نعيم عبدالملك بن محمد بن نعيم به.

وهذا إسناد ضعيف جدًّا، مسلسل بالمجاهيل والضعفاء، فيه عبداللَّه بن محمد بن ربيعة، القدامي، قال الذهبي في «الميزان» (٢/٤٨٨): «أحد الضعفاء، أتى عن مالك بمصائب»، وقال: «ضعّفه ابن عدي وغيره».

وعمر بن المغيرة، قال البخاري عنه: «منكر الحديث، مجهول»، كذا في «الميزان» (٣/٢٢٤).

---

(١) كذا في «تاريخ دمشق»، وفي «أسد الغابة»: «بكيت حيث ليس لي إلا نفس...».

وعطاء بن عجلان متروك، بل أطلق عليه ابن معين والفلَّاس وغيرهما الكذب، كما في «التقريب»، وانظر: «الميزان» (٧٥/٣)؛ فهذا الإِسناد واهٍ بمرَّة، لا يفرح به البتّة.

وأخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص ١٣٤ـ ١٣٥)؛ قال: «أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلَّم الفرضي نا عبدالعزيز بن أحمد. ح وأخبرنا أبو الحسن بن أبي الحديد أن جدي أبو عبد الله؛ قالا: أنا محمد بن عوف: أنا محمد بن موسى بن الحسين الحافظ: أنا محمد بن خُرَيْم: نا هشام بن عمار: نا يزيد بن سمرة: نا سليمان بن حبيب؛ أنه سمع الزهري قال: ما اخْتُبِر من رجلٍ من المسلمين ما اخْتُبِرَ من عبداللَّه بن حذافة السهمي، وكان قد شُكِيَ إلى رسول اللَّه ﷺ أنه صاحب مُزاح باطل، فقال: اتركوه فإن له بظانةً تحبُّ اللَّه ورسوله، وكان رمي على قَيْسارِيَّة[1]؛ فوقذوه[2]؛ فأفاق وهو في أيديهم، فبعثوا به إلى طاغيتهم بالقسطنطينية؛ فقال: تنصر وأنكحك ابنتي وأشركك في ملكي. فأبى، قال: إذن أقتلك، قال: فضحك. فأتي بأسارى فضرب أعناقهم، ومد عنقه، قال: أضرب، ثم أتي بآخرين فرموا حتى ماتوا، ونصبوه فقال: ارموا. ثم أتي ببقرة نحاس قد صارت جمرة؛ فعلّق رجلًا ببكرةٍ فألقي فيها، ثم جُرِّدَ بسفودٍ فخرج عظامه من دُبرِها؛ فعلقوها رجلين قبله ثم علقوه؛ فقال: ألقوا، ألقوا.

فقال: أتركوه واجعلوه في بيت ومعه لحم خنزير مشوي وخمر ممزوج. فلم يأكل ولم يشرب، وأشفقوا أن يموت، فقال: أما إن اللَّه عَزَّوَجَلَّ قد كان أحله لي ولكن لم أكن لأُشَمِّتَكَ بالإِسلام. قال: قبِّل رأسي وأعتقك. قال: معاذ الله. قال:

---

(١) قيْساريَّة: مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم، وكانت عاصمة آل سلجوق، فتحت في عهد عمر على يد معاوية بن أبي سفيان ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ انظر «معجم البلدان» (٢١/٤) وتاريخ الطبري (٣/ ٦٠٤).

(٢) وقذوه: أي ضربوه حتى أغمي عليه... انظر «اللسان» مادة «وقذ».

وأعتقك ومن في يدي من المسلمين. قال: أما هذه؛ فنعم. فقبل رأسه فأعتقهم. فكان يُعيَّر بعد ذلك؛ فيخبر بالخبر».

وهذا إسناد ضعيف جدًّا، وفيه علل:

الأول: الانقطاع بين الزهري وعبدالله بن حذافة.

الثانية: يزيد بن سمرة، قال ابن حبان: «ربما أخطأ».

الثالثة: هشام بن عمار، فيه ضعف.

أفاد شيخنا الألباني في «الإرواء» (٨/ ١٥٧/ رقم ٢٥١٥).

وذكر ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٢٩٧) أن القصة في «فوائد هشام بن عمار» - وفي مطبوعه: «ابن عثمان»؛ فليصحح - من مرسل الزهري.

وللقصة طريق أخرى مقطوعة، قال الذهبي في «السير» (٢/ ١٥): «الوليد بن مسلم: حدثنا أبو عمرو ومالك بن أنس أن أهل قيسارية أسروا ابن حذافة؛ فأمر به ملكهم، فجُرِّب بأشياء صبر عليها، ثم جعلوا له في بيت معه الخمر ولحم الخنزير ثلاثًا لا يأكل، فاطلعوا عليه؛ فقالوا للملك: قد انثنى عُنُقه، فإن أخرجته وإلا مات. فأخرجه وقال: ما منعك أن تأكل وتشرب؟ قال: أما إنَّ الضرورة كانت قد أحلتها لي، ولكن كرهت أن أشمتك بالإسلام. قال: فقبِّل رأسي، وأُخلِّي لك مئة أسير. قال: أما هذا؛ فنعم. فقبَّل رأسه؛ فخلَّى له مئة، وخلَّى سبيله».

وقد روى ابن عائذ قصة ابن حُذافة؛ فقال: «حدثنا الوليد بن محمد أن ابن حذافة أسر» فذكر القصة مطولة، وفيها: «أطلق له ثلاث مئة أسير، وأجازه بثلاثين ألف دينار، وثلاثين وصيفة، وثلاثين وصيفًا».

والعجب منه - رحمه الله - تَعَالَى -؛ فإنه قال على إثرها: «ولعل هذا الملك قد أسلم سرًّا»، ويدل على ذلك مبالغته في إكرام ابن حذافة.

وكذا القول في هرقل؛ إذ عَرَضَ على قومه الدخول في الدين، فلما خافهم؛

قال: إنما كنت أختبر شدتكم في دينكم.

فمن أسلم في باطنه هكذا؛ فيرجى له الخلاص من خلود النار، إذ قد حصل في باطنه إيمانًا ما، وإنما يُخاف أن يكون قد خضع للإسلام وللرسول، وأعتقد أنهما حق مع كونه أنه على دين صحيح؛ فتراه يعظم للدينين، كما قد فعله كثيرٌ من المسلمين الدواوين؛ فهذا لا ينفعه الإسلام حتى يتبرأ من الشرك».

قلت: احتمال إسلام هذا الملك ـ وهو هرقل، كما في الطرق الأخرى ـ مبنيٌّ على إجازته ابن حذافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بثلاثين ألف دينار، وثلاثين وصيفة، وثلاثين وصيفًا، ولم يذكر هذا إلا عند ابن عائذ، وإسناده مقطوع، ومثل هذا الأمر لو وقع حقًا؛ لنُقِل واشتُهِر، ولم يبق مكتومًا مخبَّأً حتى يظهر مثل هذا الخبر، واللَّه الموفق.

فهذه الأسانيد جميعها ضعيفة؛ لا تنهض بالقصّة، ولا تقوى على عدّها حقيقة تاريخية لا شك فيها؛ فهي شديدة الضَّعف، ولذا لما سمع بعض العلماء راويًا يحدِّث بها؛ استغربها.

أخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص ١٣٢- ١٣٣)؛ قال: «أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر، أنا أحمد بن الحسين الحافظ، أنا أبو الحسين محمد بن الفضل القطان، أنا أبو سهل بن زياد القطان، نا سعيد بن عثمان الأهوازي، نا عبداللَّه بن معاوية الجمحي.

قال البيهقي: وأنا أبو نصر عمر بن عبدالعزيز بن عمر بن قتادة أنا أبو محمد يحيى بن منصور القاضي نا أبو الفضل أحمد بن سلمة نا عبداللَّه بن معاوية الجمحي نا عبدالعزيز بن مسلم القسملي نا ضرار بن عمرو عن أبي رافع؛ قال: وجَّه عمر بن الخطاب جيشًا إلى الروم وفيهم رجلٌ يقال له عبداللَّه بن حُذافة من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فأسره الروم، فذهبوا به إلى ملكهم فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد. فقال له الطاغية: هل لك أن تنصر وأشركك في ملكي وسلطاني؟ قال له عبدالله: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما ملكته العرب ـ وفي رواية القطان:

وجميع مملكة العرب ـ على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت قال: إذًا أقتلك! قال: أنت وذاك. قال: فأمر به فصلب، وقال للرماة: ارموه قريبًا من يديه قريبًا من رجليه، وهو يعرض عليه وهو يأبى، ثم أمر به فأنزل، ثم دعا بقدر؛ فصب فيها ماء حتى احترقت، ثم دعا بأسيرين من المسلمين؛ فأمر بأحدهما فألقي فيها وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، ثم أمر به أن يلقى بها، فلما ذُهِب به بكى، فقيل له: إنه قد بكى. فظن أنه جزع، فقال: ردوه يعرض عليه النصرانية؛ فأبى. قال: فما أبكاك إذًا؟ قال: أبكاني أني قتلت، هي نفس واحدة تلقى الساعة في هذه القدر فتذهب فكنت أشتهي أن تكون بعدد كل شعرة في جسدي نفس تلقى هذا في الله. قال له الطاغية: هل لك أن تقبِّل رأسي وأخلِّي عنك؟ قال له عبدالله: وعن جميع أسارى المسلمين. قال: وعن جميع أسارى المسلمين. قال عبدالله: فقلت في نفسي: عدو من أعداء الله أقبل رأسه يخلي عني وعن أسارى المسلمين؛ لا أبالي. قال: فدنا منه فقبل رأسه. قال: فدفع إليه الأسارى؛ فقدم بهم على عمر، فأخبر عمر بخبره؛ فقال: حقٌّ على كل مسلم أن يقبِّل رأس عبدالله بن حذافة وأنا أبدأ. فقام عمر فقبَّل رأسه».

ثم قال: «قال أحمد بن سلمة: سألني عن هذا الحديث محمد بن مسلم ومحمد بن إدريس، وقالا لي: ما سمعنا بهذا الحديث قط».

وهذا إسنادٌ ضعيف جدًّا، فيه ضرار بن عمرو[1]، وهو ضعيف جدًّا، قال عنه ابن معين: «لا شيء»، وقال الدُّولابي: «فيه نظر»، كذا في «الميزان» (٢/٣٢٨)، وأخشى أن يكون عبدالعزيز بن مسلم قد وهم فيه، وأدخل إسنادًا في إسنادٍ؛ فإنه رواه كما أخرجه أبو العرب في «المحن» (٣٨٣ـ ٣٨٤) عن عبدالله بن محمد من

(١) ظن الأستاذ الأبياري أن «ابن عمرو» تصحيف، وصوابه: «ابن مرة»! وهو خطأ؛ فابن عمرو هذا مترجم في «التاريخ الكبير» (٤/٣٤٠)، و«الجرح والتعديل» (٤/٤٦٥).

ولد عبدالله بن حذافة[١]، وعلى أيِّ حال؛ الإسناد ضعيف جدًّا، ولا يستشهد به.

بقي أن أَشير إلى أنَّ مقولة أحمد بن سلمة في آخر هذا الطريق: «سألني عن هذا الحديث محمد بن مسلم ومحمد بن إدريس، وقالا لي: ما سمعنا بهذا الحديث قطّ» فيه إيماء إلى عدم شهرة هذه القصّة واستغرابها ممن حدث بها ممن هو فوق أحمد بن سلمة من قبل حافظين كبيرين، هما:

الأول: محمد بن مسلم، وهو ابن وارة، «الإمام، الحافظ، المجوِّد، أحد الأعلام»؛ كما في «السير» (١٣/ ٢٨).

والآخر: محمد بن إدريس، أبو حاتم الرازي، «الإمام، الحافظ، النَّاقد، شيخ المحدّثين، كان من بحور العلم، طوَّف البلاد، وبرع في المتن والإسناد، وجمع وصنَّف، وجرح وعدَّل، وصحَّح وعلَّل»، كذا في «السير» (١٣/ ٢٤٧).

❑ **ملاحظات مهمَّة:**

وأخيرًا نلفتُ نظر القارئ إلى الملاحظات التالية:

أولًا: نصَّ شيخنا الألباني حفظه الله ـ تَعَالَى ـ على ضعف القصة في كتابه القيم «إرواء الغليل» (٨/ ١٥٦ـ ١٥٧/ رقم ٢٥١٥)، ولم يعزها إلا لابن عساكر.

ثانيًا: لا يستلزم من ضعف القصة عدم أسر عبدالله بن حذافة من قبل الروم؛ فقد ذكر ذلك خليفة في «تاريخه» (١٤٢) ـ وعنه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ص ١٨٧ ـ عهد الخلفاء الراشدين» ـ، قال في أحداث سنة تسع عشرة: «وفيها أسرت الروم عبدالله بن حذافة السهمي».

وأسند ذلك الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦٣١) عقب حديث أبي سعيد الخدري؛ قال: «وكان الروم قد أسروه في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأرادوه على الكفر؛ فعصمه الله عز وجل حتى أنجاه الله تبارك وتعالى منهم».

---

(١) وتقدم ذلك.

وقال ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٩٠/٤): «وقال محمد بن عمر[1]: وكانت الروم قد أسرت عبدالله بن حذافة؛ فكتب فيه عمر بن الخطاب إلى قسطنطين، فخلَّى عنه، ومات عبدالله بن حذافة في خلافة عثمان بن عفان».

ثالثًا: وفي مقولة الواقدي الأخيرة إضعاف ضمني لهذه القصة؛ إذ فيها أن فكاك عبدالله بن حذافة من الأسر كان هو سبب كتابة عمر إلى ملك الروم، وعبارة البلاذري في «أنساب الأشراف» (٢١٥/١) أوضح في ذلك، قال: «إن عمر بن الخطاب كتب إلى قسطنطين ملك الروم لما أسرته بشأنه؛ فأطلق سراحه».

اللهم؛ إلا أن يُتَكَلَّف فيقال: ولعل امتحانه من قبل الروم وتخويفه واختبار إيمانه جاء عقب كتاب عمر؛ ليرى ذلك ملك الروم!

ويغنينا عن كل ما قدّمنا أن هذه القصّة لو كانت ثابتة لوردت بأسانيد نظيفة، فإن هِمم العدول والثقات تتداعى على حمل مثلها، وحينئذٍ لا تفوت الحفاظ الكبار والأئمة العظام كأبي حاتم وغيره». اهـ.

يذكر التاريخ للصحابي الجليل عبدالله بن حذافة قيادته لسرية من سرايا النبي وثقة النبي ﷺ فيه، ويذكر له جهاده المشرف في فتح بلاد الشام وأرض مصر، وخاصة فتحه «عين الشمس» فهل يذكره أهل «عين شمس» اليوم أم نسوه من جملة ما نسوا من تاريخ العظماء السابقين؟

* * *

(١) هو الواقدي.

(٤٣٢) الصحابي الفارس الشهيد خارجة بن حذافة العَدَوي فاتح الفيوم والصعيد

هو الصحابي خارجة بن حُذافة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عبيد بن عَوِيج بن عدي بن كعب بن لؤي، القرشي العدويّ، أمُّه فاطمة بنت عمرو بن بُجْرة العدوية.

كان أحد فرسان قريش، يُقال: إنه يعدل بألف فارس، كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستمده بثلاثة آلاف فارس، فأمدّه بخارجة بن حذافة، والزبير بن العوّام، والمقداد بن الأسود[١].

قال الحافظ بن حجر في «الإصابة»: وهو من مسلمة الفتح[٢]. وجعله ابن سعد في طبقاته من المهاجرين الذين لم يشهدوا بدرًا ولهم إسلام قديم.

❑ جهاده:

شهد خارجة فتح مصر مع عمرو بن العاص، فقد أشفق عمر بن الخطاب على عمرو فأمدّه بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم رجل مقام ألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، وخارجة بن حذافة، وقال عمر: «إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم مقام ألف»[٣].

وكان على رأس كمين قوّته خمس مئة رجل سار قبيل الصبح إلى «أم دنين» وهي حي «الأزبكية» الحالي، فكان لكمينه أثر في تحطيم مقاومة المدافعي عن

(١) أسد الغابة ت (١٣٢٧)، والإصابة ت (٢١٣٧)، والاستيعاب ت (٦٠٩).
(٢) الإصابة (٢/١٨٩).
(٣) معجم البلدان (٦/٣٧٨).

«حصن بابليون».

ولما سار عمرو لفتح الإسكندرية، خلّف في حصن «بابليون» مَسْلَحة من المسلمين[١] جعل عليها خارجة[٢].

الفاتح:

لما فتح عمرو بن العاص الفسطاط وجّه خارجة بن حذافة العدوي إلى الفيوم[٣] والأشمونين[٤] وأخميم[٥]، و«البشرودات»[٦] وقرى الصعيد فغلب على أرضها، وصالح أهل قراها على مثل صلح الفسطاط[٧]، وبذلك فتح خارجة بلاد الصعيد إلى حدود «طيبة»[٨].

عن يزيد بن أبي حبيب إنّ عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص أن افْرض لكلّ مَن بايع تحت الشجرة في مئتين من العطاء، وأبلغ ذلك لنفسك لإمارتك، وافرض لخارجة بن حذافة في الشرف لشجاعته، وافرض لعثمان بن قيس السهمي في الشرف لضيافته»[٩].

وكان خارجة رضي الله عنه موضع ثقة عمرو فولّاه القضاء، وقيل: كان على

---

(١) الفاروق عمر للدكتور هيكل (٢/١٠٨- ١٠٩).

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص (٢٢١).

(٣) الفيوم: هي محافظة الفيوم الآن.. وكانت أيام الفتح ولاية في الغرب بينها وبين الفسطاط أربعة أيام، بينها مفازة لا ماء بها ولا مرعى.

(٤) الأشمونين: اسمها أشمون، وهي مدينة قديمة، عامرة، آهلة، وهي قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل.

(٥) أخميم: بلد بالصعيد... تابعة لمحافظة سوهاج، وهو بلد قديم على شاطئ النيل.

(٦) البشرُوْدَات، هكذا وردت في «البلاذري» ص ٢١٧، وقد وردت في «معجم البلدان» (٢/١٩٠) البشرود، وهي الصحيح، وهي كورة من كور بطن الريف بمصر من كور أسفل الأرض.

(٧) «فتوح البلدان» للبلاذري ص (٢١٨).

(٨) الفاروق عمر للدكتور هيكل (٢/١٣٩).

(٩) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧/٣٤٤).

الشرطة[١]. قال ابن سعد: «وكان خارجة بن حذافة قاضيًا بمصر لعمرو بن العاص، فلما كان صبيحة يوم وافى الخارجيّ ليضرب عمرو بن العاص، فلم يخرج عمرو يومئذ للصلاة، وأمر خارجة يصلي بالناس، فتقدّم الخارجيّ فضرب خارجة وهو يظنّ أنه عمرو بن العاص، فأُخِذَ به فأُدخِل على عمرو وقالوا: واللَّه ما ضربتَ عَمْرًا وإنما ضربتَ خارجة»، فقال: أردتُ عَمْرًا وأراد اللَّه خارجة. فذهبت مثلا[٢].

وهكذا متنّ اللَّه على خارجة بثواب الشهداء بقتل الخوارج له، فهنيئًا له بالشهادة.

وكان لخارجة من الولد عبدالرحمن وأبان وأمهما امرأة من كندة، وعبداللَّه وعون وأمهما أم ولد[٣].

فهل يذكر أهل الصعيد ـ وأنا منهم ـ خارجة بن حذافة فاتح بلادهم ـ وهو من شجعان الصحابة وفرسانهم.. رضي الله عنه؟!.

* * *

(١) الإصابة ٢/١٨٩

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٤٣/٤).

(٣) المصدر السابق.

(٤٣٣) عُمَيْر بن وَهْب الجُمَحي[١]
فاتح تنيس[٢] ودمياط[٣] وتونة[٤] ودميرة[٥] وشطا[٦] ودقهلة[٧] وبنا[٨] وبوصير[٩]

هو الصحابي عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمح القرشي الجمحي، يكنى أبا أمية. وأمه سُخيلة بنت هاشم بن سعيد بن سهم. وكان لعمير من الولد وهب بن عمير، وأميّة وأُبيّ وأمهم رقيقة، ويُقال خالدة، بنت كَلَدَة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح.

كان عمير سيد بني جمح، وكان له قدر وشرف في قريش. وهو ابن عم صفوان بن أمية بن خلف، وشهد عمير بدرًا مع المشركين، وبعثوه طليعة ليَحْزُرَ أصحاب رسول الله ﷺ، ويأتيهم بعددهم وعدّتهم ففعل، وقد كان حريصًا على ردّ قريش عن لُقِيّ رسول الله ببدر، وهو القائل يومئذ لقريش عن الأنصار: أرى وجوهًا كوجوه الحيّات: لا يموتون ظمأً أو يقتلون منا أعدادهم، فلا تعرضوا لهم وجوهًا كأنها المصابيح» فقالوا: «دع عنك هذا وحرّش بين القوم» فكان أول من

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/١٥٠) ت (٤١٨)، وأسد الغابة ت (٤٠٩٦)، والإصابة ت (٦٠٧٣).

(٢) تنيس: جزيرة في بحر مصر، قريبة من البرما بين الفرما ودمياط، والفرما في شرقيها.

(٣) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر. والمقصود بها مدينة دمياط الآن.

(٤) تونة: جزيرة قرب تنيس ودمياط من الديار المصرية.

(٥) دميرة: قرية كبيرة بمصر قرب دمياط، وهما دميرتان إحداهما تقابل الأخرى على شاطئ النيل في طريق من يريد دمياط.

(٦) شطا: بُلَيْد بمصر على بعد ثلاثة أميال من دمياط على ضفة البحر الملح.

(٧) دقهلة: بلد بمصر على شعبة من النيل بينها وبين دمياط أربعة فراسخ، وبينها وبين دميرة ستة فراسخ.

(٨) بنا: بلدة قديمة بمصر، بينها وبين الفسطاط ثمانية عشر ميلا. يطلق عليها الآن بنها.

(٩) بوصير: اسم لأربع قرى بمصر، والمقصود بهذه بوصير بنا، واليوم تعرف باسم: أبو صير.

رمى بنفسه عن فرسه بين أصحاب رسول اللّه ﷺ وأنشب القتال». وقبل نشوب القتال، لشجاعته استجال حول عسكر المسلمين بفرسه، ثم رجع إلى قريش فقال لهم: «ثلاث مئة رجل، يزيدون قليلا أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر للقوم كمين أو مدد»، فصرب في الوادي حتى أبعد، فلم ير شيئًا، فرجع إليهم فقال: «ما وجدت شيئًا، ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس معهم مَنَعَة ولا ملجأ إلّا سيوفهم، واللّه ما أرى أن يُقتل رجل منهم حتى يقتل رجلًا منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم، فما خير العيش بعد ذلك؟ فَرَوْا رأيكم؟»(١).

قال عكرمة: أن عمير خرج يوم بدر فوقع في القتلى، فأخذ الذي جرحه السيف فوضعه في بطنه حتى سمع صريف السيف في الحصى حتى ظنّ أنه قد قتله. فلما وجد عمير بَرْد الليل أفاق إفاقة فجعل يحبو حتى خرج من بين القتلى فرجع إلى مكة فبرأ منه(٢).

وأُسِر ابنه وهب بن عُمير فيمن أُسِر يوم بدر، أسره رفاعة بن رافع بن مالك الزّرَقيّ(٣)، فرجع عمير إلى مكة فقال له صفوان بن أمية وهو معه في الحِجْر: قبّح اللّه العيش بعد قتلى بدر، قال: أجل، واللّه ما في العيش خير بعدهم، ولولا ديْن عليّ لا أحد له قضاءً، وعيالٌ لا أدع لهم شيئًا، لرحلتُ إلى محمد فقتلته إنْ ملأتُ عيني منه، فإن لي عنده علة أعتل بها عليه؛ أقول: قدمت من أجل ابني هذا الأسير. ففرح صفوان، وقال له: عليّ دينك، وعيالك أسوة عيالي في النفقة، لا يسعني شيء فأعجز عنهم. فاتفقا، وحمله صفوان وجهّزه، وأمر بسيف عمير فصُقِل

(١) سيرة ابن هشام (٢/٢٦١- ٢٦٢). والبلايا: جمع بليّة، وهي القناة أو الدابة تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تُسقى حتى تموت.
والنواضح: الإبل التي يُسقى عليها الماء. والناقع: الثابت.

(٢) طبقات ابن سعد (١٥١/٤).

(٣) المصدر السابق.

وسُمّ، وقال عمير لصفوان: اكتم خبري أيامًا. وقدم عمير المدينة، فنزل باب المسجد، وعقل راحلته، وأخذ السيف وعمد إلى رسول اللَّه ﷺ، فنظر إليه عمرو وهو في نفر من الأنصار، ففزع ودخل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول الله، لا تأمنه على شيء. فقال: «أدخله عليّ» فخرج عمر فأمر أصحابه أن يدخلوا على رسول اللَّه ﷺ ويحترسوا من عُمير.

وأقبل عمر وعمير حتى دخلا على رسول اللَّه ﷺ ومع عُمير سيفه، فقال رسول اللَّه ﷺ لعمر: «تأخّر عنه». فلما دنا عُمير قال: أنعموا صباحًا ـ وهي تحية الجاهلية، فقال رسول اللَّه ﷺ: «قد أكرمنا اللَّه عن تحيتك، وجعل تحيتنا تحية أهل الجنة وهو السلام». فقال عمير: إن عهدك بها لحديث. فقال: «ما أقدمك يا عُمير؟» قال: قدمت على أسيري عندكم، تفادونا في أسرانا، فإنكم العشيرة والأهل. فقال: «ما بال السيف في عنقك؟» فقال: قبحّها اللَّه من سيوف! وهل أغنت عنا شيئًا؟ إنما نسيته في عنقي حين نزلت. فقال رسول اللَّه ﷺ: «أصدقني ما أقدمك يا عمير؟».

قال: ما قدمتُ إلا في طلب أسيري؟ قال: «فماذا شرطت لصفوان في الحِجْر؟» ففزع عمير وقال: ماذا شرطت له؟ قال: «تحمَّلتَ له بقتلي على أن يعول أولادك ويقضي دينك، واللَّه حائل بينك وبين ذلك». فقال عمير: «أشهد أنك رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، كُنّا يا رسول اللَّه نكذبك بالوحي وبما يأتيك من السماء، وإن هذا الحديث كان بيني وبين صفوان في الحجر كما قلت، لم يطّلع عليه أحد، فأخبرك اللَّه به، فالحمدُ لله الذي ساقني هذا السياق. ففرح به المسلمون حين هداه الله. قال عمر: والذي نفسي بيده لخنزير كان أحبّ إليّ من عُمير حين طلع، ولَهُو اليوم أحبّ إليّ من بعض ولدي» وقال له رسول اللَّه ﷺ: «اجلس يا عمير نُواسِك» وقال لأصحابه: «علّموا أخاكم القرآن»، وأطلق له أسيره. فقال عمير: يا رسول الله، قد كنتُ جاهدًا ما استطعتُ على إطفاء نور الله، والحمد لله الذي هداني من

الهَلَكة، فائذن لي يا رسول اللّه فألحق بقريش فأدعوهم إلى اللّه ـ تَعَالَى - وإلى الإسلام، لعلّ اللّه أن يهديهم ويستنقذهم من الهلكة. فأذن له رسول اللّه ﷺ فلحِق بمكة، وجعل صفوان بن أمية يقول لقريش: أبشروا بفتح يُنسيكم وقعة بدر، وجعل يسأل كل من قدِم من المدينة: هل كان بها من حَدَث؟ حتى قدم عليه رجل فأخبره أن عُميرًا أسلم، فلعنه المشركون، وقالوا: صبأ، وحلف صفوان لا ينفعه بنفع أبدًا، ولا يكلمه كلمة أبدا. فقدم عليهم عمير، فدعاهم إلى الإسلام، فأسلم بسببه بشر كثير(١).

وفي مغازي الواقدي أن عمر قال لعُمَير: أنت الذي حزرتنا يوم بدر؟ قال: نعم، وأنا الذي حَرَّشت بين الناس؛ ولكن جاء اللّه بالإسلام وما كنا فيه من الشرك أعظم من ذلك.

فقال عمر: صدقت.

وهاجر عمير، وأدرك أُحُدًا فشهدها وما بعدها وشهد الفتح. وشهد معه غزوة تبوك.

- **وعلى يديه أسلم صفوان بن أمية ابن عمه:**

فبعد فتح مكة خرج صفوان بن أمية يريد جُدّة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير: «يا نبي الله، إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هاربًا منك ليقذف نفسه في البحر، فأمَّنه رسول اللّه ﷺ وقال: «هو آمن»، فقال عمير: «يا رسول الله! فأعطني آية يعرف بها أمانك»، فأعطاه رسول اللّه ﷺ عمامته التي دخل فيها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر فقال: «يا صفوان، فداك أبي وأمي، اللّه اللّه في نفسك: أتهلكها!، فهذا أمان من رسول اللّه ﷺ قد جئتك

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٥٦/١٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (١٤٨/٣)، وذكره أبو الأسود عن عروة مرسلًا، وأورده ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير مرسلا، وجاء موصولا عن أنس عند ابن منده، والطبراني.

به، فقال صفوان: ويحك!! أغْرُب عني فلا تكلمني، فقال: «أي صفوان، فداك أبي وأمي، أفضل الناس وأبرّ الناس وأحلم الناس وخير الناس... ابن عمك: عزّه عزّك، وشرفه شرفك وملكه ملكك». قال: «إني أخافه على نفسي» فقال: «هو أحلم من ذلك وأكرم، فرجع معه حتى وقف به على رسول اللَّه ﷺ، فقال صفوان: «إن هذا يزعم أنك قد أمّنتني»، قال: «صدق». قال: «فاجعلني فيه بالخيار شهرين»، قال «أنت فيه بالخيار أربعة أشهر»(١).

وأعطى النبي ﷺ من فيء هوازن عمير أقل من مئة بعير فيما أعطاه من رجالات مكة(٢).

❑ جهاده:

شهد عمير أُحُدًا وما بعدها، ونال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء رسول اللَّه ﷺ، فلما توفى الرسول ﷺ، شارك عمير في جهاد المرتدين، وبعد انتهاء حروب الردة، توجه للجهاد في أرض الشام: وحين قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها أمدّه عمر بن الخطاب بأبطال المسلمين المعروفين بالشجاعة والفروسية، وكان عمير أحد هؤلاء الأبطال، وكان لعمير وإخوانه أثر كبير في انتصار المسلمين على الروم في معركة «حصن بابليون».

«ووجه عمرو بن العاص عمير بن الجمحي إلى تنيس وتونة ودميرة وشطا ودقهلة وبنا وبوصير»(٣) فغلب على أرضها وصالح قواها على مثل حكم الفسطاط وصارت أرضها أرض خراج. وكان فتح هذه المناطق على يد البطل الفارس عمير ابن وهب الجمحي رضي الله عنه.

---

(١) سيرة ابن هشام (٤/٣٨)، وجوامع السيرة لابن حزم (٢٣٥).
(٢) سيرة ابن هشام (٤/١٤٠، ١٤٣).
(٣) فتوح البلدان للبلاذري ص (٢١٨).

❑ عُمَير القائد:

قال اللواء ركن محمود شيت خطاب: «من دراسة حياة عمير العسكرية، يتضح لنا أنه كان يُحسن الاستطلاع، فقد حزر بالضبط عدد المسلمين في «بدر» ولكنه لم يكتف بذلك بل دقّق في استطلاعه ليطمئن إلى عدم وجود مدد أو كمين للمسلمين. وكان يُحسن تقدير الموقف، فقد نصح قريشًا ألا تقاتل المسلمين على الرغم من تفوّق قريش بالقدر والعُدد على المسلمين تفوّقًا ساحقًا، مما يدلّ على بُعد نظره وذكائه الخارق.

وبالإضافة إلى ذلك، كان من أبطال قريش المعدودين؛ ذهب وحده لاستطلاع عدد المسلمين وعُدّتهم في «بدر» على الرغم من خطورة هذا الواجب، وجازف بالإقدام على اغتيال النبي ﷺ وهو في المدينة حصنه الحصين وبين أصحابه الذين يفدونه بأرواحهم وأولادهم وكان أول من أنسب الحرب يوم بدر، وأقدم ـ بعد إسلامه ـ على الذهاب وحده إلى مكة معقل المشركين يومذاك ليدعو الناس إلى الإسلام!

والقائد الذكي الذي يُحسن تقدير الموقف والاستطلاع، ويحسن نتيجة لذلك إعطاء القرارات الصائبة السريعة. كما أن شجاعته الخارقة ومكانته وقدره بين قريش دليلٌ على تمتعه بشخصية فذّة وإرادة قوية.

إن مزايا قيادة عمير جعلت مجرد وجوده بين الرجال من عوامل رفع معنوّياتهم واطمئنانهم إلى النصر. لقد كان عُمير قائدًا فذًّا بكل مزايا القيادة الفذّة.

يذكر التاريخ لعمير جهوده المثمرة في سبيل نشر الإسلام في مكة، ويذكر له شجاعته النادرة وبطولته الفذّة وجهاده لإعلاء كلمة الله. ويذكر له فتحه منطقة واسعة جدا من أرض الكنانه ونشره الإسلام ولغة القرآن في ربوعها. رضِي اللَّه عن الصحابي الجليل، القائد الفاتح، البطل المجاهد عمير بن وهب الجمحي القرشي»[١].

---

(١) قادة فتح الشام ص (٢٤٧ـ ٢٤٨).

(٤٣٤) عقبة بن عامر الجهني
فاتح أسفل أرض مصر «جنوبي مصر»

هو الإمام الصحابي المقري المجاهد عقبة بن عامر بن عَبْس بن عمرو بن عديّ ابن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عديّ بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني رضي الله عنه.

أسلم رضي الله عنه بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة. ويكنى أبا عبْس، وأبا حماد، وأبا عامر وأبا الأسد، وأبا سعاد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا في غنم لي أرعاها، فتركتها ثم ذهبت إليه، فقلت: بايعني، فبايعني على الهجرة»[١].

كان رضي الله عنه من الصحابي المشهورين، ولم يشهد بدرًا ولكنه شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد. قال عقبة: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصُّفَّة، وكنت من أصحاب الصُّفَّة. وكان عقبة من الرماة المذكورين. وكان رضي الله عنه من رفعاء أصحاب محمد ﷺ.

وبعد وفاة النبي ﷺ شارك في جهاد المرتدين، وشهد فتوح الشام، وكان هو البريد إلى عمر بفتح دمشق[٢]. وهو أحد من جمع القرآن.

قال ابن يونس: شهد فتح مصر[٣].

❑ **الفاتح:**

«وجه عمرو بن العاص عقبة بن عامر الجهني إلى سائر قرى أسفل الأرض»[٤]،

---

(١) أخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي.

(٢) الإصابة (٤/٤٢٩) ت (٥٦١٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/٤٦٨).

(٤) البلاذري ص (٢١٨).

فغلب على أرضها، وفتحها، وصالح أهل القرى على مثل حكم الفسطاط.

وقال أبو عمر الكندي: جمع له معاوية في إمرة مصر بين الخراج والصلاة، فلما أراد عزله كتب إليه أن يغزو رودس(١)، فلما توجه سائرًا استولى مسلمة، فبلغ عقبة، فقال: أغربةً وعَزْلًا؟ وذلك في سنة سبع وأربعين.

قال ابن يونس: ولي الجند بمصر لمعاوية بن أبي سفيان بعد عتبة بن أبي سفيان سنة أربع وأربعين، ثم أغزاه معاوية البحر سنة سبع وأربعين، وكتب إلى مَسْلمة بن مخلد بولايته على مصر، فلم يُظهر مَسْلَمة ولايته حتى رفع عقبة غازيًا في البحر، فأظهر مسلمة ولايته، فبلغ ذلك عقبة، فقال: ما أنصفنا أمير المؤمنين عزلنا وغرّبنا(٢).

عن عبدالله بن الأزرق قال: كان عقبة بن عامر الجهني يخرج كل يوم ويتّبعه فكأنه كاد أن يملّ فقال: ألم أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول؟ قال: بلى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يُدخِل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه الذي يحتسب في صنعته الخير، والذي يجهز به في سبيل الله، والذي يرمي به في سبيل الله»(٣).

وقال: «ارموا، واركبوا، وأن ترموا خير من أن تركبوا»، وقال: «كل شيء يلهو به ابن آدم باطل إلا ثلاث: رمية عن قوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنهن من الحق»(٤). قال: وتوفي عقبة وله بضعة وسبعون قوسًا، مع كل قوس قرن ونَبْل، فأوصى بهن في سبيل الله(٥) رضِي الله عن عقبة فكم كان عاشقًا للجهاد يروي الأحاديث عن رسول الله ﷺ في الرمي وفضل الرباط، وضاع الناس لما ضيّعوا ما

(١) هي جزيرة ببلاد الروم.
(٢) تاريخ دمشق (٤٠/٤٩١).
(٣) أي يخرج للرمي، فكاد ابن الأزرق أن يملّ.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) تاريخ دمشق (٤٠/٤٩٧).

حفظ عقبة:

كسرنا قوس عقبة عن جهالة وحطّمنا بلا وعي نباله
فشرّدنا العدو ولا جهادٌ ومزّقنا الطغاة ولا عدالة

عن أبي عبدالرحمن الحُبْلي أن عقبة بن عامر كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن، فقال له عمر بن الخطّاب: أعرض عليّ، فقرأ عليه سورة براءة فبكى عمر[1]. فرضي اللَّه عن الإمام المقرئ المجاهد الفاتح الصحابي عقبة بن عامر الجهني.

أُتي رجل في المنام فقيل له: اذهب إلى عقبة بن عامر صاحب رسول اللَّه ﷺ فقل له: إنك من أهل النار، فكَرِه أن يقول له ذلك، فقال ثلاث مرات أو أربع، وقال في آخر ذلك: لئن لم تفعل ما أقول لك فعلتُ بك شرًّا، فأتَى عقبة بن عامر فأخبره، فقال له عقبة بن عامر: أخبرني ما قال لك؟ قال: قال لي: قل لعقبة إنك من أهل النار فوضع عقبة بن عامر كفّيْه في الأرض، فقبض بكل كفّ قبضة من تراب ثم رمى بها على عاتقه إلى وراء ظهره ثم قال: كذب الشيطان، ثم قبض الثانية فرمى بها وراء ظهره فقال: كذب الشيطان، ثم قبض الثالثة، فرمى بها وراء ظهره ثم قال: كذب الشيطان، فلما رقد الرجل جاء الذي كان يأتيه كل ليلة في المنام، فقال: هل قلتَ لعقبة ما أمرتك؟ فقال الرجل: نعم، قال: فما قال لك؟ فأخبره: صدق، ما كان يرمي رمية إلا وقعتْ تلك الرمية في وجهي وعيني.

عن سفيان بن وهب الخولاني قال: بينما نحن نسير مع عمرو بن العاص في سفح هذا الجبل[2]، ومعنا المقوقس، فقال له: يا مقوقس ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات ولا شجر على نحو من جبال الشام؟ قال: ما أدري، ولكن اللَّه أغني أهله بهذا النيل عن ذلك، ولكنا نجد تحته ما هو خير من ذلك، قال: وما هو؟

(١) تاريخ دمشق (٤٠/٤٩٩- ٥٠٠).
(٢) يعني جبل المقطم، وفي سفحه كانت مقبرة أهل مصر.

قال: ليدفنن تحته ـ أو ليقبرنّ قوم يبعثهم اللّه يوم القيامة لا حساب عليهم، فقال عمرو: اللهم اجعلني منهم.

قال حرملة: فرأيت أنا قبر عمرو بن العاص فيه، وفيه قبر أبي بصرة الغفاري، وعقبة بن عامر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ.

* * *

(٤٣٥) الصحابي النقيب العقبي البدري
عُبادة بن الصامت الخزرجي رضي الله عنه

فاتح مدينة إنطرطوس[١] من أرض الشام، والإسكندرية من مصر

هو الصحابي الجليل عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وهو من القواقلة، ويُكنَى أبا الوليد، وأمّه قرّة العين بنت عبادة بن نضلة بن مالك بن العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم ابن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج. وكان لعبادة بن الصامت من الولد: الوليد وأمه جميلة بنت أبي صعصعة ومحمد وأمه أم حرام بنت ملحان النجارية حميدة البر، شهيدة البحر، خالة النبي ﷺ من الرضاعة.

شهد عبادة رضي الله عنه العقبة مع السبعين من الأنصار، وهو أحد النقباء الإثنى عشر.

وآخى رسول اللَّه ﷺ بين عبادة بن الصامت وأبي مرثد الغنوي. وشهد عبادة بدرًا وأُحُدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول اللَّه ﷺ. وكان عبادة عَقَبيا نقيبا بدريًّا أنصاريًا[٢]. كان رضي الله عنه يقول: «أنا من النقباء الذين بايعوا رسول اللَّه ﷺ ليلة العقبة كما في الصحيحة وروى ابن سعد في ترجمته من طريق محمد بن كعب القرظي أنه ممن جمع القرآن في عهد النبي ﷺ وروى ابن سعد في ترجمته أنه كان طُوالا جميلا جسيما. قال سعيد بن غفير: كان طوله عشرة أشبار أي أنه كان يزيد عن ٢٠٠سم، فهو مديد القامة طويلها[٣].

---

(١) انطرطوس: بلد من سواحل بحر الشام، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص، وهي مطلة على البحر في شرقي عرقة بينهما ثمانية فراسخ، ولها برجان حصينان كالقلعتين.

(٢) طبقات ابن سعد (٣/٥٤٦).

(٣) عبادة بن الصامت للدكتور وهبة الزحيلي ص (٢٦) ـ سلسلة أعلام المسلمين.

قال النووي: «كان من سادات الصحابة»(١).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ أي ليلة العقبة ـ على السمع والطاعة في العُسْر واليُسْر، والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول أو نقوم بالحق حيث كُنّا، لا نخاف في اللَّه لومة لائم»(٢).

وثمّة بيعة أخرى، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا مع رسول اللَّه ﷺ في مجلس، فقال: «تبايعوني على أن لا تشركوا باللَّه شيئًا، ولا تزنوا ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرّم اللَّه إلا بالحق، فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئًا من ذلك فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب شيئًا من ذلك، فستره اللَّه عليه، فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذّبه»(٣) وفي رواية: فتلا علينا آية النساء، وفي رواية: أخذ علينا رسول اللَّه ﷺ كما أخذ على النساء.

❑ إيمانه العظيم وولاؤه لله ورسوله وبراءته من اليهود:

عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: لما حارب بنو قينقاع بسبب ما أمرهم عبداللَّه بن أُبيّ، وكانوا حلفاءه، فمشى عبادة بن الصامت، وكان له من الحلف مثل الذي لعبداللَّه بن أبيّ، فخلعهم وتبرّأ إلى اللَّه ورسوله من حِلفهم، فنزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾(٤) [المائدة: ٥١].

استعمل النبي ﷺ عبادة على جباية الصدقات وقال له: «اتق اللَّه يا أبا الوليد، اتق اللَّه لا تأتي يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء، أو بقرة لها خوار أو شاة لها

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢٥٧/١).

(٢) أخرجه أحمد (٣١٤/٥)، والبخاري (١٦٧/١٣)، في الأحكام: باب كيف يبايع الناس الإمام، والنسائي (١٣٧/٧، ١٣٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤/١٢)، ومسلم (١٧٠٩) كلاهما في الحدود: باب الحدود كفارة وهذه البيعة تمت بعد فتح مكة.

(٤) الإصابة (/٥٦).

ثؤاج[١]، فقال: يا رسول الله، إنّ ذلك كذلك؟ قال: إي والذي نفسي بيده، إن ذلك لكذلك، إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ، قال: فوالذي بعثك بالحق لا أعمل على اثنين أبدا».

❑ القائد الفاتح:

كان عبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من أشهر قادة الفتوح في الشام ومصر، وكان مجرد وجوده في جيش يرفع معنويات الجيش الفاتح. وقد شهد له عمر بن الخطاب بأنه يعدل ألف رجل، لروحه العالية في التضحية، وقدرته الفائقة على القتال والإقدام، وشجاعته النادرة في المعارك، وعقليته الراجحة في التخطيط والتقدير، وفهم أسرار العدو وتحركاته، وحبه للموت في سبيل الله، وإيمانه العميق بالقضاء والقدر، وتفانيه في سبيل نصرة الإسلام.

كتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر بن الخطاب: «قد احتاج أهل الشام إلى مَن يعلّمهم القرآن ويفقّهم»، فأرسل عمر معاذ بن جبل وعبادة وأبا الدرداء، فأقام عبادة بحمص فاستخلفه عليها أبو عبيدة بن الجراح عندما سار لفتح «اللاذقية» ثم صرفه لفتح «أنطرطوس» ففتحها.

قال البلاذري: «استخلف أبو عبيدة عبادة بن الصامت الأنصاري على حمص، فأتى اللاذقية، فقاتله أهلها فكان بها باب عظيم لا يفتحه إلا جماعة من الناس، فلما رأى صعوبة مرامها عسكر على بعد من المدينة ثم أمر أن تُحفر حفائر كالأسراب يستتر الرجل وفرسه في الواحدة منها، فاجتهد المسلمون في حفرها حتى فرغوا منها، ثم إنهم أظهروا القفول إلى حمص، فلما جَنّ عليهم الليل عادوا إلى معسكرهم وحفائرهم وأهل اللاذقية غارون يرون أنهم قد انصرفوا عنهم، فلما أصبحوا فتحوا بابهم وأخرجوا سرحهم، فلم يرعهم إلا تصبيح المسلمين إياهم

(١) الثؤاج: صيام الغنم.

ودخولهم من باب المدينة ففُتحت عنوة، ودخل عبادة الحصن، ثم علا حائطه فكبّر عليه، وهرب قوم من نصارى اللاذقية، ثم طلبوا الأمان على أن يتراجعوا إلى أرضهم فقوطعوا على خراج يؤدونه قلّوا أو كثروا وتُركت لهم كنيستهم، وبنى المسلمون باللاذقية مسجد جامعًا بأمر عبادة ثم إنه وَسّع بعد»(١).

وقال أيضًا: «فتح عبادة والمسلمون معه أنطرطوس، وكان حصنًا»(٢).

وقال: «افتتح أبو عبيدة اللاذقية وجبلة وأنطرطوس على يد عبادة بن الصامت»(٣).

أما شهادة عمر له، فقد تواترت بها أخبار التاريخ: «لما أبطأ فتح مصر على عمرو، كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستمدّه، ويعلمه بذلك، فأمدّه بأربعة آلاف، على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومَسْلمة بن مُخَلَّد ـ وقيل: خارجة بن حُذافة ـ وقال عمر له: اعلم أن معك إثنى عشر ألفًا، ولن تُغلب اثنا عشر ألفًا من قِلّة»(٤).

وأخرج ابن عبدالحكم عن زيد بن أسلم قال: لما أبطأ على عمر بن الخطاب فتح مصر، كتب إلى عمرو بن العاص، «أما بعد: فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، إنكم تقاتلونهم منذ سنتين، وما ذاك إلّا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحبّ عدوّكم، وإن اللّه تبارك وتعالى لا ينصر قومًا إلّا بصدق نيّاتهم، وقد كنت وجّهت إليك أربعة نفر، وأعلمتُك أن الرجل منهم مقام ألف رجل، على ما كنت أعرف، إلّا أن يكون غيرّهم ما غيرّهم! فإذا أتاك كتابي، فاخطب الناس، وحضّهم على

---

(١) البلاذري ص (١٣٨- ١٣٩).

(٢) البلاذري ص (١٣٩).

(٣) البلاذري ص (١٣٩).

(٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (٨/١)، و«فتوح مصر وأخبارها» لابن عبدالحكم ص (٦١) ـ مكتبة المثنى ببغداد، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة «السيوطي» (١/ ١٠٧، ١٠٨، ١٢٠) طبع عيسى الحلبي بمصر، والفتوحات الإسلامية لدحلان (٦٨/١)، وما بعدها.

قتال عدوّهم، ورغبّهم في الصبر والنيّة، وقدِّم أولئك الأربعة في صدور الناس، ومُرِ الناس جميعًا أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة، فإنها ساعة تنزل الرحمة فيها، ووقت الإجابة، وليعجّ[1] الناس إلى الله، ويسألوه النصر على عدوِّهم. فلما أتى عَمْرًا الكتاب، جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر، ثم دعا أولئك النفر، فقدّمهم أمام الناس، وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين، ثم يرغبوا إلى اللَّه ـ تَعَالَى ـ، ويسألوه النصر على عدوهم، ففعلوا ففتح اللَّه عليهم[2].

نعم كان عبادة بن الصامت أمير ربع العدد لفتح مصر[3].

وكان عبادة رضي الله عنه قائد فتح الإسكندرية سنة ٢٥هـ[4]. قال ابن عبدالحكم: لما أبطأ على عمرو بن العاص فتح الإسكندرية. استلقى على ظهره، ثم جلس فقال: إني فكّرت في هذا الأمر، فإنه لا يصلح آخره إلّا من أصلح أوّله ـ يريد الأنصار ـ فدعا عبادة بن الصامت فعقد له، ففتح اللَّه على يده الإسكندرية من يومهم ذلك»[5].

وعاد رضي إلى الشام، وشهد مع معاوية بن أبي سفيان فتح جزيرة قبرص في خلافة عثمان سنة ٢٨هـ، وكان معه أبو ذر وأبو الدرداء، وفي هذه الغزوة استشهدت زوجة عبادة أم حرام بنت ملحان أثناء فتحها ودُفِنت فيها[6].

وغزا أرض الروم مع معاوية[7].

---

(١) العجيج: رفع الصوت بالدعاء.

(٢) حسن المحاضرة (١/ ١٢٠)، وفتوح مصر لابن عبدالحكم ص (٨٩).

(٣) الإصابة (٣/ ٥٠٦)، وفتوح مصر ص (٦٢)، وحسن المحاضرة (١/ ٢١١)، والنجوم الزاهرة (١/ ٢١).

(٤) حسن المحاضرة (١/ ١٢٠)، وفتوح مصر ص (٧٣، ٨٠)، وقد سار لفتحها عمرو بن العاص بعد استئذان عمر سنة ٢١هـ. وفي معجم البلدان (١/ ١٨٨): تم فتحها سنة ٢٠هـ.

(٥) حسن المحاضرة (١/ ١٢٠).

(٦) البداية والنهاية (٧/ ١٥٣)، وفتوح البلدان للبلاذري ص (١٥٨)، والفتوحات لدحلان (١/ ١٧٣).

(٧) سنن ابن ماجه (١/ ٨).

❑ أعماله العمرانية:

اشترك عبادة مع قادة الفتح في الشام ومصر في بناء الحصون والمساجد، فبنى مع معاوية أنطرطوس وحصنها، وبنى باللاذقية مسجدًا جامعًا، ثم وسّع فيه، وبنى مع عمرو بن العاص الفسطاط، وأول جامع في مصر سنة ٢١هـ هو جامع عمرو بن العاص الذي ما يزال إلى الآن. وقد قام على إقامة قبلته ثمانون صحابيًّا منهم الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو ذر الغفاري [١].

❑ ما جرى بين عبادة والمقوقس كان فتحًا حقيقيًا لمصر:

هذه سفارة من أهم السفارات في التاريخ السياسي الإسلامي، كان عبادة من أنجح السفراء فيها، حتى أن أكثر علماء مصر قالوا: إن مصر فُتِحت صلحًا، وإن الأمر لم يتم إلا بما جرى بين عبادة بن الصامت وبين المقوقس [٢]. ولأهمية هذا الجوار وملابساته نذكره بإسهاب وتفصيل:

حينما حاصر المسلمون حصن بابليون لفتح مصر، وكان به جماعة من الروم، وأكابِرُ القبط ورؤسائهم، وعليهم المقوقس - حاكم مصر - قاتلوهم بها شهرًا [٣]. فلما رأى القوم الجِدَّ منهم على فتحه، والحرص، ورأوا مَنْ صبرهم على القتال ورغبتهم فيه، خافوا أن يظهروا عليهم، فتنحّى المقوقس وجماعة من أكابر القبط، وخرجوا من باب القصر القبلي، وتركوا به جماعة يقاتلون العرب، فلحقوا بالجزيرة، وأمروا بقطع الجسر وذلك في جَرْي النيل، وبقي في الحصن أمير الحصن الذي يُقال له: «الأعيرج» من قبل المقوقس. فلما خاف فتح الحصن، ركب هو

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص (٢٣٧).

(٢) النجوم الزاهرة (١/١٩).

(٣) انظر فتوح مصر لابن عبدالحكم، وحسن المحاضرة (١/١٠٩- ١١٤)، والنجوم الزاهرة (١/١٠- ١٢). والفتوحات الإسلامية لدحلان (١/٧٠- ٧١).

وأهل القوة والشرف، وكانت سفنهم ملصقة بالحصن، ثم لحقوا المقوقس في الجزيرة.

وأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص رسالة جاء فيها: «إنكم قد ولجتم في بلادنا، وألححتم على قتالنا، وطال مقامكم في أرضنا، وإنما أنتم عصبة يسيرة، وقد أظلّتكم الروم وجهّزوا إليكم، ومعهم من العُدّة والسلاح، وقد أحاط بكم هذا النيل، وإنما أنتم أسارى في أيدينا، فأرسلوا إلينا رجالًا منكم نسمع من كلامهم، فلعلّه أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبّون ونحب، وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم، فلا ينفعنا الكلام، ولا يُقدر عليه. ولعلّكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفًا لمطلبكم ورجائكم، فابعثوا إلينا رجالًا من أصحابكم، نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء». فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس، حبسهم عنده يومين وليلتين، حتى خاف عليهم المقوقس، فقال لأصحابه: أتروْن أنهم يقتلون الرسل ويحبسونهم، ويستحلّون ذلك في دينهم»! وإنما أراد عمرو بذلك أن يروْا حال المسلمين.

فردّ عليهم عمرو مع رسلهم: إنه ليس بيني وبينك إلا إحدى خصال ثلاث:

- إما أن دخلتم في الإسلام، فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا.
- وإن أبيتم أعطيتم الجزية عن يدٍ وأنم صاغرون.
- وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال، حتى يحكم اللّٰه بيننا وهو خير الحاكمين.

فلما جاءت رسل المقوقس إليه، قال: كيف رأيتموهم؟ قالوا: رأينا قومًا الموت أحب إليهم من الحياة، والتواضع أحبّ إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نَهْمة، وإنما جلوسهم على التراب، وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحدٍ منهم، ما يعرفُ رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد فيهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويتخشّعون في صلاتهم.

فقال عند ذلك المقوقس: والذي يُحلَف به، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، ولا يقوى على قتال هؤلاء أحد، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم، وهم محصورون بهذا النيل، لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض، وقوُوا على الخروج من موضعهم.

فردّ إليهم المقوقس رسله، وقال: ابعثوا إلينا رُسُلًا منكم نعاملهم، ونتداعى نحن وهم إلى ما عسى أن يكون فيه صلاحٌ لنا ولكم.

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر، وأحدهم عبادة بن الصامت ـ وطوله عشرة أشبار ـ وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم، وألّا يجيبهم إلى شيء دعوه إلى إحدى هذه الثلاث خصال[١]؛ فإن أمير المؤمنين قد تقدّم في ذلك إليّ، وأمرني ألا أقبل شيئًا سوى خصلة من هذه الثلاث خصال.

وكان عبادة بن الصامت أسود[٢]، فلما ركبوا السفن إلى المقوقس، ودخلوا عليه، تقدّم عبادة، فهابه المقوقس لسوادة، فقال: نحُّوا عني هذا الأسود، وقدِّموا غيره يكلمني. فقالوا: إن هذا الأسود أفضلنا رأيًا وعلمًا، وهو سيِّدنا وخيرنا، والمقدّم علينا، وإنا نرجع جميعًا إلى قوله ورأيه، وقد أمّره الأمير دوننا بما أمره به، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله.

فقال المقوقس للوفد: وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم، وإنما ينبغي أن يكون دونكم؟

قالوا: كلا! إنه وإن كان أسود كما ترى، فإنه من أفضلنا موضعًا وأفضلنا سابقة وعقلًا ورأيًا، وليس يُنكر السواد فينا.

فقال المقوقس لعبادة: تقدّم يا أسود وكلّمني برفق، فإني أهاب سوادك، وإن

(١) وهي: الإسلام، أو الجزية، أو القتال.

(٢) جاء في وصف عبادة أنه كان جميلا طويلا، وأما سواده فهو عن عروبته، ولا يعد ذلك بين العرب قُبحًا، وأما عند الروم الشُّقر فالسواد غريب فيهم.

اشتد عليّ كلامك، ازددت لك هيبة. فتقدم إليه عبادة فقال: «قد سمعت مقالتك، وإن فيمن خلَّفت من أصحابي ألف رجل أسود كلهم مثلي، واشد سوادًا مني وأفظع منظرًا، ولو رأيتهم لكنتَ أهيب لهم مني، وأنا قد وليت، وأدبر شبابي، وإني مع ذلك بحمد اللَّه ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعًا، وكذلك أصحابي. وذلك إنما رغبتنا وبغيتنا الجهاد في سبيل اللَّه ـ تَعَالَى ـ، واتباع رضوان الله، وليس غزونا عدّونا ممن حارب اللَّه لرغبة في الدنيا، ولا طلبًا للاستكثار منها، إلا أن اللَّه عَزَّوَجَلَّ قد أحلّ ذلك لنا، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالًا، وما يبالي أحدنا: أكان له قنطار من ذهب، أم كان لا يملك إلا درهمًا!؛ لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها، يسدُّ بها جَوْعته، وشَمْلةً يلتحفها، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة اللَّه ـ تَعَالَى ـ، واقتصر على هذا الذي بيده، لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم، ورخاءها ليس برخاء، إنما النعيم والرخاء في الآخرة، وبذلك أمرنا ربنا، وأمرنا به نبينا، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا فيما يُمسك جَوْعته، ويستر عورته، وتكون همته وشغله في رضا ربه، وجهاد عدوه.

فلما سمع المقوقس ذلك منه، قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط!

لقد هبتُ منظره؛ وإن قوله لأهيب عندي من منظره، إن هذا وأصحابه أخرجهم اللَّه لخراب الأرض، وما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها.

ثم أقبل المقوقس على عُبادة فقال: أيها الرجل قد سمعت مقالتك، وما ذكرتَ عنك وعن أصحابك، ولعمري ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت، ولا ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا بحبهم الدنيا ورغبتهم فيها، وقد توجّه إلينا لقتالكم مِن جمْع الروم مما لا يحصى عدده، قوم معروفون بالنجدة والشدة ممن لا يُبالي أحدهم من لقي ولا مَن قاتل، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم،

وقد أقمتم بين أظهرنا أشهرا، وأنتم في ضيق وشدة في معاشكم وحالكم، ونحن نرقُّ عليكم لضعفكم وقلّتكم وقلّة ما بأيديكم، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين، ولأميركم مئة دينار، ولخليفتكم ألف دينار، فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوّة لكم به.

فقال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: يا هذا؛ لا تغرّنّ نفسك ولا أصحابك. أمّا ما تخوّفنا به من جَمْع الروم وعددهم وكثرتهم، وأنّا لا نقوى عليهم، فلعمْري ما هذا الذي تخوّفنا به، ولا بالذي يكسِرنا عما نحن فيه، فإنْ كان ما قلتم حقًّا فذلك واللَّه أرغب ما يكون في قتالهم، وأشدُّ لحرصنا عليهم؛ لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه، وإن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا في رضوانه وجَنّته، وما من شيء أقرّ لأعيننا، ولا أحبّ إلينا من ذلك، وإنا منكم حينئذ على إحدى الحسنَيَيْن:

إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا، وإنها لأحب الخصلتينْ إلينا بعد الاجتهاد منا، وإن اللَّه ـ تَعَالَى ـ قال لنا في كتابه ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحًا ومساء: أن يرزقه الشهادة، وألا يُردّ إلى بلده، ولا إلىأهله وولده، وليس لأحد منا هَمٌّ فيما خَلَّفَه، وقد استودع كل واحد منا ربّه أهله وولده؛ وإنما همّنا ما أمامنا.

وأمّا قولك: إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا، فنحن في أوسع السّعة، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا لأنفسنا منها أكثر مما نحن فيه. فأنظر الذي تريد، فبيّنه لنا، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منكم، ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث، فاختر أيها شئت، ولا تُطمع نفسك في الباطل؛ بذلك أمرني الأمير، وبها أمره أمير المؤمنين؛ وهو عهد رسول اللَّه ﷺ من قبلُ إلينا.

أما إن أجبتم إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل اللَّه غيره، وهو دين

أنبيائه ورسله وملائكته، أمرنا اللَّه أن نقاتل مَنْ خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه، فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا في دين الله، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك، فقد سعدتم في الدنيا والآخرة، ورجعنا عن قتالكم، ولم نستحلّ أذاكم ولا التعرّض لكم.

وإن أبيتم إلا الجزية، فأدُّوا إلينا الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون، نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبدًا ما بقينا وبقيتم، ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم، ونقوم بذلك عنكم، إذْ كنتم في ذمّتنا، وكان لكم به عهد اللَّه علينا.

وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نصيب ما نريد منكم.

هذا ديننا الذي ندين اللَّه - تَعَالَى - به، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره، فانظروا لأنفسكم.

فقال المقوقس: هذامما لا يكون أبدا، ما تريدون إلّا أن تتخذونا عبيدًا ما كانت الدنيا.

فقال له عبادة: هو ذاك، فاختر ما شئت.

فقال المقوقس: أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الخصال الثلاث؟ فرفع عُباده يديه، وقال: لا، ورب السماء ورب هذه الأرض ورب كل شيء، ما لكم عندنا خصلة غيرها، فاختاروا لأنفسكم.

فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه وقال: قد فرغ القول فما ترون؟ فقالوا: أَوَ يرضى أحدٌ بهذا الذل؟! أمّاما أرادوا مِن دخولنا في دينهم؛ فهذا لا يكون أبدًا، ولا نترك دين المسيح بن مريم، وندخل في دين لا نعرفه، وأمّاما أرادوا من أن يسْبونا ويجعلونا عبيدًا أبدا، فالموت أيسر من ذلك، لو رضوا منا أن نُضعف لهم ما أعطيناهم مرارًا كان أهون علينا.

فقال المقوقس لعبادة: قد أَبَى القوم، فما ترى؟ فراجع صاحبك، على أن نعطيكم في مَرّتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون. فقام عبادة وأصحابه.

فقال المقوقس لمن حوله عند ذلك: أطيعوني، وأجيبوا القوم إلى خصلة واحدة من هذه الثلاث، فوالله ما لكم بهم طاقة! وإن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم منها كارهين.

فقالوا: أي خصلة نجيبهم إليها؟ قال: إِذًا أُخبركم.. أما دخولكم في غير دينكم، فلا آمركم به؛ وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقدروا عليهم، ولن تصبروا صبرهم، ولا بد من الثالثة.

قالوا: فنكون لهم عبيدًا أبدًا؟

قال: نعم تكونون عبيدًا مُسلّطين في بلادكم، آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم، خير لكم من أن تموتوا عن آخركم، وتكونوا عبيدًان وتُباعوا وتمزّقوا في البلاد مستعبدين أبدًا أنتم وأهلوكم وذراريكم.

قالوا: فالموت أهون علينا، وأمروا بقطع الجسر من الفسطاط والجزيرة، وبالقَصْر من جمع الروم والقبط جمع كثير.

فألحّ المسلمون عند ذلك بالقتال على مَن بالقصر حتى ظفروا بهم، وأمكن الله منهم، فقُتِل منهم خلق كثير، وأُسِر مَن أُسِر منهم، وانحازت السفن كلها إلى الجزيرة.

وبه تبيّن أن فتح مصر كان عنوة أي قهرًا وهو الراجح.

ثم طلب المقوقس وأصحابه عقد صلح مع المسلمين، فتم الصلح على فرض جزية دينارَيْن على جميع مَن بمصر أعلاها وأسفلها»[١].

---

(١) آثار الحرب للدكتور وهبة الزحيلي ص (٦٠٠- ٦٠٦).

● **عبادة الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:**

عن قبيصة بن ذؤيب: أن عُبادة أنكر على معاوية شيئًا، فقال: لا أساكنك بأرض، فرحل إلى المدينة، فقال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره بفعل معاوية. فقال له: ارحل إلى مكانك، فقَبّح الله أرضًا لست فيها وأمثالك، فلا إمرة له عليك(١).

ولعبادة قصص متعددة مع معاوية، وإنكاره عليه أشياء، وفي بعضها رجوع معاوية له، وفي بعضها شكواه إلى عثمان منه، تدلُّ على قوته في دين الله، وقيامه في الأمر بالمعروف(٢).

عن يعلى بن شداد، قال: ذكر معاوية الفرار من الطاعون، فذكر قصة له مع عبادة، فقام معاوية عند المنبر بعد صلاة العصر، فقال: الحديث كما حدّثني عبادة، فاقتبسوا منه؛ فهو أفقه مني.

وعن مجاهد، عن جُنادة: دخلتُ على عُبادة، وكان قد تفقّه في دين الله(٣).

وعبادة رضي الله عنه هو أول من ولي قضاء فلسطين(٤).

وانظر إلى ورعه رضي الله عنه: مرّ عبادة بقرية دُمَّر، فأمر غلامه أن يقطع له سِواكًا من صفصاف على نهر بَرَدي، فمضى ليفعل، ثم قال له: ارجع، فإنه إنْ لا يكن بثمن، فإنه ييبس، فيعود حطبًا بثمن(٥).

● **وانظر إلى البطل وترفّعه:**

«حينما كان المسلمون يحاصرون حصن بابليون في أم دُنَين(٦)، وأبطأ عليهم الفتح، وبينما عبادة بن الصامت في ناحية يصلي، وفرسه عنده، رآه قوم من الروم،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٧) ورجاله ثقات.
(٢) ، (٣) الإصابة (٣/٥٠٧).
(٤) الإصابة (٣/٥٠٦).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢/١٠).
(٦) أم دنين: كانت تُطلق قبل الإسلام على المقس. وكانت واقعة على النيل ويقع فيها الآن جامع أولاد عنان (جامع الفتح) بميدان رمسيس، وشارع كامل، وحديقة الأزبكية.

فخرجوا إليه، وعليهم حلية وبِزَّة، فلما دنوا منه، سلمّ من الصلاة، ووثب على فرسه، ثم حمل عليهم، فلما رأوه وَلوَّا هاربين وتبعهم، فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلقهم؛ فصار لا يلتفت إليه حتى دخلوا إلى الحصن، ورُمي عبادة من فوق الحصن بالحجارة، فرجع ولم يتعرّض لشيء مما طرحوه من متاعهم، حتى رجع إلى موضعه الذي كان فيه، فاستقبل الصلاة، وخرج الروم إلى متاعهم وجمعوه(١).

❑ **القائد:**

«كان عبادة رجلًا معدودًا بألف رجل، وقيمته المرموقة هذه لها سببان: شجاعته الشخصية وإقدامه أوّلًا، وعقيدته الراسخة وإيمانه العميق ثانيا.

كان وجوده - مجرد وجوده - في جيش من جيوش المسلمين كافيًا لرفع معنويات ذلك الجيش وإقدامه على تحمل أشق أعباء القتال.. إذْ كان يثير في نفوسهم النخوة والنجدة بمثاله الشخصي في التضحية والإقدام، كما كان يفجِّر في نفوسهم ينابيع الإيمان بالقضاء والقدر، والتطلع إلى الشهادة في سبيل الله.

لم يكن عبادة يكترث بالموت، بل كان يسعى إليه سعيًا حثيثًا، وكان شعوره هذا ينتقل إلى نفوس من يحيط به فيعمل في نفوسهم عمل السحر الحلال.

لقد كان بالإضافة إلى تمسكه الشديد بعقيدته وتفانيه في خدمتها، راجح العقل ألمعي الذكاء، يبذل قصارى جهده للحصول على معلومات كافية عن عدوه، لذلك كانت خططه صائبة دائمًا، كما كان لماضية المجيد في خدمة الإسلام أثر كبير في حبّ رجاله له وثقتهم الكاملة به، وكان بدوره يبادلهم حبًّا بحب وثقة بثقة.

وكان يدقق كثيرًا في «اختيار مقصده وإدامته»، ويبذل كل جهده لإنجاز

---

(١) النجوم الزاهرة (١/٩).

«تحشيد قوته»، ويحرص غاية الحرص على عدم إعطاء خسائر لا مبرر لها بالأرواح وذلك باتخاذ تدابير «الأمن»، وكان «يديم معنويات» رجاله ويؤمن لهم احتياجاتهم «الإدارية».

إن عُبادة قائد عقائدي من الطراز النادر.

إنه أمه في رجل.. إنه مدرسة كاملة.. إنه نسيج وحده.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الصحابي الجليل، النقيب الأمين، المحدث الفقيه، القاضي العادل، القائد الفاتح، عبادة بن الصامت الأنصاري(١) مات بالرملة سنة أربع وثلاثين. وكذا ذكره ابن سعد والمدائني، وخليفة بن خيّاط.

ومنهم من قال: مات ببيت المقدس.

وأورد ابن عساكر أخبارًا له مع معاوية تدلُّ على أنه عاش بعد ولاية معاوية، وبذلك جزم الهيثم بن عدي. وقيل إنه عاش إلى سنة خمس وأربعين(٢). فرضي اللَّه عن الإمام الكبير المقرئ المجاهد النقيب العقبى البدري.

* * *

(١) قادة فتح الشام ومصر (٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣).
(٢) الإصابة (٣/٥٠٧).